20030414-0001b-1

«١٣ نيسان يوم وطني للذاكرة»: السلام على الضحية

«يوم وطني للذاكرة». في الذكرى الثامنة والعشرين لاندلاع الحرب، في ١٣ نيسان ١٩٧٥، تقترح حملة «تذكرت ما تنعاد» تخصيص «المناسبة» بيوم وطني للذاكرة. لم يتم وضع تصور له.. أو لمعناه، وهذه ورشة طويلة متشعبة ليست من صلاحيات الحملة ولا من مهماتها المباشرة بها، اللبنانيون كافة معنيون بها، «ولا تنجز بليلة وضحاها»، يقول غير ناشط في الحملة، وثمة اتفاق أولي على ألا يكون يوم عطلة. يوم عمل عادي يشهد تحركات ومبادرات على قاعدة «تذكرت ما تنعاد» تنبذ العنف والطائفية وتحرّض على الحوار والانفتاح».

توجهت الحملة بطلبها «إعلان ١٣ نيسان اليوم الوطني للذاكرة» عبر رسالة مفتوحة الى اللجنة الوزارية المكلفة إعادة النظر في الأعياد الرسمية، برئاسة نائب رئيس مجلس الوزراء عصام فارس وعضوية بيار حلو، بهيج طبارة، مروان حمادة، أسعد دياب وغسان سلامة، أي أنه قد تمت مراعاة التمثيل الطائفي في اللجنة، التي تنطلق في مهمتها، بحسب مصدر رفيع فيها، من فلسفة تقليص عدد أيام العطل حرصا على الإنتاجية. فالعطل كثيرة الى حد يجعل لبنان من أكثر الدول التي تعطل رسميا. لهذا ستلغى أعياد وتبقى أخرى. ومن غير الوارد إضافة أي عيد سواء كان دينياً أم وطنياً.. وستعرض اللائحة على القيادات الروحية، لكي تتناسب مع الجميع».

وعلى الرغم من ذلك فجواب اللجنة بالنسبة الى الـ«يوم وطني للذاكرة»، ليس واضحا أو محسوما، لا سيما أن اللجنة لم تجتمع بعد ولم تبحث في الاقتراح، بحسب غير وزير منها. ومناسبة مثل هذه مفتوحة على «المزايدات السياسية» ومحاولات التبني.. و«الفولكلور الذي يتباهى به الذين تسببوا بالمأساة قبل الناس المقهورين، الضحية»، يقول المسرحي ريمون جبارة.

وحتى ذلك الحين «فلنعش بأمل، بأمل أن يقر اليوم رسميا وأن تحل قضية المفقودين والمخطوفين، وأن تنمو الثقافة التي تحصن اللبنانيين من الحرب وتزول شيئا فشيئا أسبابها» تقول رئيسة «لجنة أهالي المفقودين والمخطوفين في لبنان» وداد حلواني، الركن الرئيس في حملة «تذكرت ما تنعاد».

صفحة الماضي

يتحمّس عدد كبير من اللبنانيين لـ«يوم وطني للذاكرة». «كأن ثمة خوفا من السقوط مجددا في دوامة الحرب»، يقول الوزير السابق الدكتور جورج قرم، في ما يعزو الأمين العام السابق لـ«حزب الكتائب» الصحافي جوزف أبو خليل، الحماسة الى الإحساس العام بأن المصالحة لم تتم، وتاليا باب الحرب لم يُقفل نهائيا بعد».. ويسأل: من راجع نفسه وأجرى نقدا ذاتيا، الكل ما زال يفكر كما كان يفكر في ١٣ نيسان ١٩٧٥، أي أنا الصح وغيري الخطأ والمخطئ؟»، لكن قرم يعود بقلقه الى ما قبل إعلان إنهاء الحرب، وما قبل الحرب، الى تاريخ لبنان والى استمرار النظام الطائفي.. «فوجوده يبقي على الفتن الطائفية، وأي خلاف سياسي يبقى مرشحا الى الانحراف والتحول فتنة طائفية تغذيها التدخلات الخارجية وتراث سياسيينا».

ينضم النقيب السابق للمهندسين في بيروت عاصم سلام الى المتحمسين لـ«يوم وطني للذاكرة». «لا وجود للإنسان من دون ذاكرة»، يقول ويشن هجوما على مقولة «طي صفحة الماضي». إنها هرطقة مخيفة. فلماذا الخوف من أن تبقى الحرب حية في ضميرنا وحياتنا ونستعيد ما حصل لنأخذ الدروس والعبر.. يبدو لي الأمر تنصلاً أو خوفا من الوقوف أمام المرآة أو مساءلة الذات أو محاكمة المخطئ» يقول.

التربية .. بتحفظ

يتحفظ المطران غريغوار حداد على إطلاق المخاوف، «كل بلدان العالم معرضة للحروب. أيامنا الحالية مختلفة عن الأيام السابقة.. الآن صار في عقل أكثر من الماضي». فهل تصدق «حكمة» ريمون جبارة بأن «ما في إنسان بقي مع الحرب. الحيوانات ما عادت تحارب.. ولا تدافع عن الحرب؟».

هذا اليوم في اعتقاد حداد «لأولادنا»، لكي لا يتكرر الماضي.. «وقيمة تذكر الحرب هي للتوعية أكثر مما هي للخوف وللبقاء أسرى الماضي».

يلتقي جوزف أبو خليل مع حداد، عند سؤال التربية، فإلى التأمل والتفكير في التاريخ ومعرفته من دون تستر أو تحريف، «أين التربية؟» يسأل. «نحن لا نعرف تاريخنا ولا نريد التعرف إليه، نحجبه، نعلّم أطفالنا تاريخا سطحيا لا يتناول الأمور بأعماقها. حرب جعلت لبنان حرائق والآن نُدعى الى شطبها كأن شيئا لم يكن. حقبة طويلة عريضة كأنها لم تحصل. فكيف سيتعامل الشعب مع تاريخه. الفرنسيون يدرسون المجازر التي ارتكبوها في تاريخهم، وكذلك السويسريون وأما نحن فنبقي الجرح مفتوحا بينما ننسى الطب الذي علينا أن نستعين به لنشفى أو لنوقف النزف».

الحكمة والضحية

وفيما يعتبر أبو خليل أن ثمة حاجة الى تأليف لجنة حكماء، كما حصل في جنوب أفريقيا، لتراجع الماضي، وتوفر بيئة للاعتراف الذاتي ـ الجماعي.. إذا لم يتم هذا فما هي أهمية اليوم الوطني للذاكرة؟ يسأل أبو خليل، فيما يختصر جبارة مفهومه لهذا اليوم بأنه «يوم لتحريض الضمائر الحرة». ينظر رئيس لجنة حقوق الإنسان النيابية مروان فارس الى يوم الذاكرة «يوماً لتذكر الخسائر وللأمل، أمل أهالي المفقودين والمخطوفين بأن يعود أحباؤهم، أمل اللبنانيين بتقدم بلادهم والابتعاد من أجواء الحرب ومسبباتها. أما قرم فلا يرى مفراً من اللجوء الى «عمل نفساني جماعي.. يشارك فيه، خصوصا، الذين فُجعوا، الضحية. ويعتذر الذين ارتكبوا المجازر ومارسوا العنف من اللبنانيين ومن الطوائف التي قاموا بما قاموا به تحت اسمها، أنا من دعاة الغفران. فأول ثُغر قانون العفو العام، وانتقاداتي له، أنه ترك المذنبين قبل أن يعترفوا وقبل أن تنكشف حقائق ما زالت عالقة ولم يلزمهم دفع ضرائب مادية ومعنوية».

إذاً الضحية هي السؤال يقول بول الأشقر الناشط في حملة «تذكرت ما تنعاد». ولماذا نكذب على بعضنا وندعو الى مواصلة حفلة الكذب هذه، الحرب تبقى احتمالاً قائماً إذا استمر تجاهل الضحية، مهما سامحت هذه الضحية ومهما نسيت. السلام لا يقيمه من ارتكب العنف بالتحالف مع وجوه جديدة تقول إنها لم تشارك في الحرب.. وبالتوافق مع ظروف إقليمية. أين الضحية في هذه المعادلة؟ وأننا نرى النتائج، نتائج السلم، على الصعد كلها، الثقافية والإجتماعية والاقتصادية والسياسية.. والأخلاقية طبعاً».

أي يوم؟

«يوم للذكرى هو وليس يوم عطلة» بحسب الحملة التي لم تلجأ الى هذا طمعا بموافقة اللجنة الوزارية على تعيين اليوم. «لا يجب أن يكون يوم عطلة» يقول غريغوار حداد. ويقول مروان فارس «نحن مع الذكرى لا مع العطلة.. فالطائفيون يجب أن ينشطوا لا أن يتعطلوا ويعطلوا». وعلى الرغم من ذلك يربط الجميع بين «يوم الذاكرة» ويوم اندلعت الحرب، ١٣ نيسان. وهنا يقع افتراق في النظر الى اليوم. فأن يقول غريغوار حداد «بركي بيزمط (اليوم الوطني للذاكرة) بيوم ٦ أيار، عيد الشهداء»، فيعني أنه لا يسعى الى «تكبير القصة. هناك مآس كثيرة.. فلماذا ننساها، أو نلتفت الى الماضي الأليم وحسب؟». وأن يرى أبو خليل في تكريس نهار ما لذاكرة الحرب أضعف الإيمان، إذ لا يعتقد أن تكريس نهار واحد يكفي للذاكرة والاعتبار، فهذا يعني أنه يدعو الى «ورشة معرفة ومصالحة» كما يقول.. ومد خلها «تعيين ١٣ نيسان يوما للذاكرة المؤلمة» يؤكد عاصم سلام. وكذلك بالنسبة الى النصب التذكاري لضحايا الحرب كافة.. «بُعدٌ آخر من الذاكرة» يقول سلام. «فالنصب نوع من الذاكرة، يذكّر بالحدث، لكنه يذكّر أيضا بالشهداء والضحايا». لهذا يندفع قرم الى الحديث عن نشر النصب في القرى والبلدات. «الحرب لم تقع في بيروت وحسب»، يقول. ويعتقد سلام «ان نصب الشهداء في ساحة البرج يرمز الى الاستقلال.. فيما الحرب الأهلية تنقلت بين المناطق كلها، والانقسام شمل المناطق كلها وهو يستمر اليوم «ألعن» مما كان في ١٣ نيسان ١٩٧٥ وابان الحرب.. وهنا تكمن أهمية النصب». «فكل قرية أو مدينة يجب أن تتذكر ضحايا الحرب» يلتقي قرم وسلام وأبو خليل وفارس وجبارة والى حد ما حداد.. وحملة «تذكرت ما تنعاد».. نهاية سعيدة خصوصا إذا وافقت اللجنة الوزارية ومعها اللبنانيون من الطوائف كلها خصوصا إذا لم تحرم اللجنة طائفة أو مذهبا من فرحة العيد والعطلة.

حسان الزين

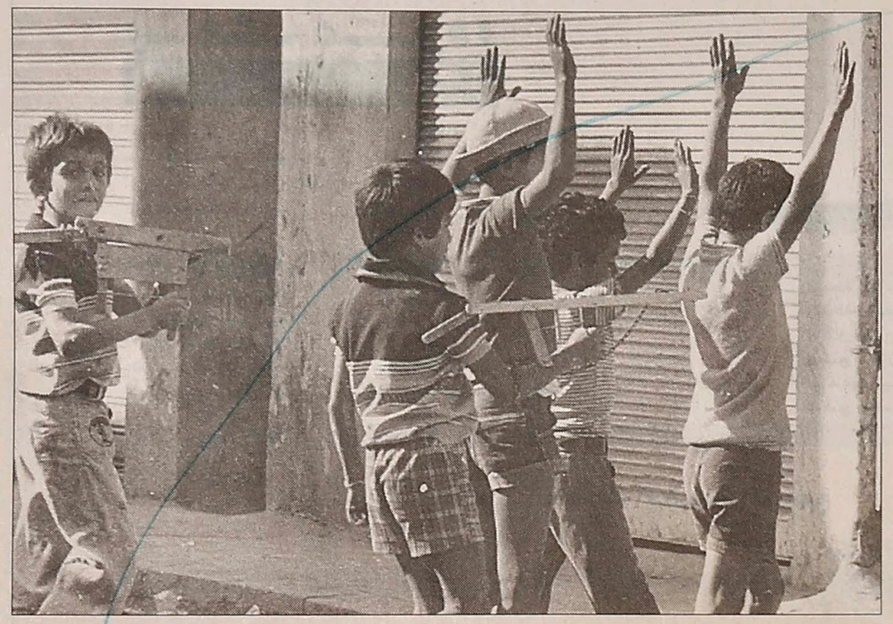

«تذكرتَ ما تنعاد»...